السيد جعفر شرف الدين

الآيات المتشابهات في سورة الفاتحة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

□ لماذا خفيت هنا ألف الوصل وظهرت في آخر سورة الواقعة في قوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾؟

لأنّ كلمة: اسم ـ إذا كانت في أول الكلام وكانت مجرورة بالباء تكتب بلا ألف، وإلا تكتب بالألف.

□ ما معنى الرحمن: وما معنى الرحيم؟

الرحمن ـ هو ذو الرحمة لا يوصف بها غيره سبحانه، والرحيم هو عظيم الرحمة، ويوصف بها غيره سبحانه، وأما قول شاعر بني حنيفة في مسيلمة.

(وأنت غيث الورى لا زلت رحماناً)

فلا يلتفت إليه لأنّه من الأغلاط:

□ لماذا قدم ـ الرحمن ـ على ـ الرحيم ـ؟

لاختصاص الأولى به تعالى دون الثانية، ولا يخفى أنّ في ذكر هاتين الصفتين في البسلمة تأسيساً لمباني الجود والكرم، وتشييداً لمعالم العفو والرأفة وإيماءً إلى مضمون، سبقت رحمتي غضبي، وتنبيهاً إلى أنّ الحقيق أن يستعان بذكره في مجامع الأمور، فهو الجامع لصفات الكمال البالغ في الرحمة غايتها المولي للنعم بأسرها، عاجلها وآجلها.

□ إنَّ لفظة ـ الرحمن ـ أبلغ في الشفقة والحنان والرحمة من لفظة ـ الرحيم ـ فلماذا قدم ما هو أبلغ على ما هو دونه، والصواب الترقي من الأدنى إلى الأعلى، كقولك فلان عالم تحرير، وشجاع باسل، وجواد فياض؟

إنه سبحانه لما قال ـ الرحمن ـ تناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفها بقوله

ـ الرحيم ـ كالتتمة والرديف، ليتناول ما دق منها ولطف، وليدل بذلك على شمول لطفه لعباده ومزيد عنايته بالرحمة لهم.

□ **هل البسملة آية من كل سورة من سور القرآن؟**

نعم ولا يجوز تركها في الصلاة ومن نذر أن يقرأ سورة يجب أن يقرأ معها البسملة.

آية ـ ٢ ـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

□ **ما معنى الحمد؟**

ليس الحمد هو قولنا ـ الحمد لله ـ لأن قولنا ـ الحمد لله ـ إخبار عن حصول الحمد، والإخبار عن الشيء مغاير للمخبر عنه، وعليه فالحمد هو عبارة عن فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً، وذلك الفعل إما أن يكون فعل القلب، أو فعل اللسان، أو فعل الجوارح.

أما فعل القلب فهو أن يعتقد فيه كونه موصوفاً بصفات الكمال والإجلال وأما فعل اللسان، فهو أن يذكر ألفاظاً دالة على كونه موصوفاً بصفات الكمال والجلال.

وأما فعل الجوارح فهو أن يأتي بأقوال دالة على كونه المنعم موصوفاً بصفات الكمال والجلال، فهذا هو المراد من ـ الحمد.

□ **ما معنى اللام ـ في قوله ـ لله ـ؟**

تأتي اللام لثلاثة معان ـ للاختصاص كقولك: السجادة للصالة: وللملك كقولك: الدار لفلان: وللاستحقاق كقولك: الحمد لله: أي الحمد مستحق لله.

□ **ما الفرق بين الحمد والشكر، وما معناهما؟**

الحمد هو الثناء والمدح والنداء على الجميل، والشكر هو مبادلة الجميل، وتقدير المعروف، والفرق بينهما أن الحمد يكون على النعمة وغيرها، والشكر لا يكون إلا على النعمة: والحمد يعم إذا ما وصل الإنعام إليك أو إلى غيرك، بخلاف الشكر فإنه مختص بالإنعام الواصل إليك.

التسبيح مقدم على التحميد، لأنه يقال سبحان الله والحمد لله، فما السبب هنا في وقوع البداية بالتحميد؟

إن التحميد يدل على التسبيح دلالة الشيء على جزء مفهومه، أي دلالة التضمن، فإن التسبيح يدل على كونه مبرءاً في ذاته وصفاته عن النقائص والآفات، والتحميد يدل مع حصول تلك الصفة على كونه محسناً إلى الخلق منعماً عليهم رحيماً بهم: فالتسبيح يدل على كونه تاماً والتحميد يدل على كونه تعالى فوق التمام: فلهذا السبب كان الإبتداء بالتحميد.

قوله ـ العالمين ـ جمع عالم ـ ومن المقصود بالعالمين؟

إعلم أن الموجود إما أن يكون واجباً لذاته وإما أن يكون ممكناً لذاته، أما الواجب لذاته فهو الله سبحانه، وأما الممكن لذاته فكل ما سوى الله، وهو العالم، لأن المتكلمين قالوا: كل موجود ما سوى الله فهو عالم. وعلى هذا نقول:

كل ما سوى الله إما أن يكون متحيّزاً وإما أن يكون صفة للمتحيز، وإما أن لا يكون متحيزاً. ولا صفة لمتحيّز: فهذه أقسام ثلاثة:

القسم الأول: المتحيز ـ وهو إما أن يكون قابلاً للقسمة. أو لا يكون. فالأول هو الجسم. والثاني هو الجوهر الفرد. ثم الجسم: إما أن يكون من الأجسام العلوية. أو من الأجسام السفلية. والأول هو الأفلاك والكواكب. وقد ثبت في الشرع سوى هذين القسمين مثل العرش والكرسي واللوح والقلم وسدرة المنتهى والجنّة. والثاني أعني، الأجسام السفلية، فهي إما بسيطة أو مركبة أما البسيطة فهي العناصر الأربعة. كرة الماء، كرة الهواء، كرة النار، كرة التراب وأما المركبة فهي النبات والمعادن والحيوان على كثرة أقسامها وتباين أنواعها.

القسم الثاني ـ وهو الممكن الذي هو صفة للمتحيز فهو الأعراض وقد ذكر المتكلمون ما يقرب من أربعين جنساً من أجناس الأعراض.

القسم الثالث ـ وهو الممكن الذي ليس متحيزاً، ولا صفة للمتحيز فهو الأرواح: وبالنتيجة المراد من العالمين: كل ما سوى الله سبحانه.

آية ـ ٣ ـ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

□ ما هو الوجه في تكرار قوله ـ الرحمن الرحيم ـ؟

بعد أن ذكر الحمد المستحق له. ناسب أن يذكر ما به يستحق الحمد من النعم على عباده: وللإشعار في مفتتح الكتاب المجيد بأنّ اعتناءه جل شأنه بالرحمة أشد وأكثر من اعتنائه بسائر الصفات، ولبسط بساط الرجاء بأن مالك يوم الجزاء ـ رحمن رحيم ـ فلا تيأسوا أيها المذنبون من صفحه عن ذنوبكم يوم الجزاء.

آية ـ ٤ ـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

□ لماذا قال ـ مالك يوم الدين ـ ولم يقل ملك يوم الدين، كما قال ـ ملك الناس ـ في سورة الناس، لأنه أوقع في العظمة وأبلغ في المدح؟

إنّ المرء قد يكون ملكاً على الشيء ولا يملكه: ولكن لا يكون مالكاً للشيء إلا وهو يملكه نظراً إلى سلطته عليه. ثم إن الوصف بمالك أعم من الوصف بملك. لأنه يقال: فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم. والله مالك كل شيء: وقد وصف نفسه بأنه مالك يوم الدين

يؤتي الملك من يشاء. فتحصل مما ذكرنا أنّ وصفه بمالك أعم وأوقع وأبلغ في الثناء والمدح من وصفه بملك:

آية ـ ٥ ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

□ لماذا لم يقل نعبدك ونستعينك ليتخلص من التقديم والتأخير؟

ليكون أدل على الاختصاص وأوقع في الحصر. ويصير المعنى على هذا نعبدك لا نعبد سواك. ونستعينك لا نستعين سواك: كما يقول أحدنا للآخر، إياك أعني، معناه لا أعني غيرك: على أن مراعاة الفواصل تقتضي التقديم والتأخير.

□ ما وجه تكرار ـ إياك ـ هنا؟

لأنه لو اقتصر على واحدة ولم يكرر فقال ـ إياك نعبد ونستعين ربما يتوهم متوهم أنه لا يتقرب إلى الله سبحانه إلا بهما معاً أي بالجمع بينهما بدلالة العطف بالواو الذي معناه الجمع.

□ لماذا انتقل من الغيبة إلى الخطاب في قوله ـ إياك نعبد وإياك نستعين ـ بعد قوله ـ مالك يوم الدين؟

لا مشاحة في ذلك: وهو في علم البلاغة يسمى الإلتفات: أي الانتقال وهذا قد يكون من الغيبة إلى الخطاب كما في هذه الآية، وقد يكون بالعكس كما في قوله تعالى في الآية ـ ٢٢ ـ في سورة يونس: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ وقد يكون من الغيبة إلى المتكلم كما في الآية ـ ٩ ـ من سورة فاطر: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ وقد يكون من الغيبة إلى المتكلم كما في الآية ـ ٩ ـ من سورة فاطر: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه﴾ إذ لم يقل فساقه.

وذلك جرياً على عادة افتنانهم في الكلام، وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب كان أحسن، تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه، من إجرائه على أسلوب واحد.

آية ـ ٦ ـ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

□ ما هو الصراط المستقيم؟

قيل هو كتاب الله تعالى وهو المروي عن الرسول وعلي عليهما الصلاة والسلام، وقيل ـ الإسلام ـ وروي ذلك عن ابن عباس وجابر وقيل الرسول ـ ص ـ والأولى حمل الآية الكريمة على العموم لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي أمر الله به من التوحيد والعدل والنبوة وولاية من أوجب الله طاعتهم، والاعتقاد بكل ما أنزل، والعمل به.

آية ـ ٧ ـ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾.

□ كلمة ـ غير ـ هنا وقعت صفة للذين، والذين معرفة ـ وغير ـ لا تتصف بها المعرفة، وإن أضيفت ـ غير ـ إلى المعرفة، والأصل فيها أن تكون صفة لنكرة تقول مررت برجل غيرك؟

إنما صح وصف ـ الذين ـ بغير ـ لأن الذين مع صلتها ليست بالمعرفة المتأصلة كالأعلام مثل ـ زيد وعمرو وأحمد وحسن ـ وإنما هي مثل النكرات إذا عرفت: كالرجل والفرس، فلما كانت ـ الذين ـ كذلك كانت صفتها كذلك، فتقول «اجلس إلى العالم غير الجاهل»، ولو كانت بمنزلة الأعلام لما جاز، كما لم يجز أن تقول ـ مررت بزيد غير الحسن.

□ ما معنى الغضب منه سبحانه وهو من صفات البشر؟

هو إرادة الإنتقام من العصاة، وإنزال العقوبة فيهم وأن يفعل بها ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه، ونسأله سبحانه رضاه ورحمته.

□ هل يجب قراءة سورة الفاتحة في الصلاة أم لا؟

اختلف أئمة المذاهب في ذلك، فقد أجمع فقهاء المذهب الإمامي الجعفري على وجوبها في الركعتين الأوليين على المصلي وهو بالخيار في الأخيرتين إن شاء قرأها وإن شاء سبّح.

واختلف فقهاء أهل السنة في هذه المسألة، ولهم فيها مذاهب ستة.

أحدها ـ عدم وجوبها أصلاً وإليه ذهب الأصم وابن عليّة.

ثانيها ـ وجوبها في ركعة واحدة من الصلاة وإليه ذهب الحسن البصري والحسن بن صالح ابن جني.

ثالثها ـ وجوبها في الركعتين الأوليين على المصلي، وهو في الأخيرتين بالخيار إن شاء قرأ وإن شاء سبح وإن شاء سكت، وإليه ذهب أبو حنيفة.

رابعها ـ القراءة واجبة في الأوليين، ومكروهة في الأخيرتين، وإليه ذهب سفيان الثوري.

خامسها ـ وجوب القراءة في أكثر الركعات ولا يجب في جميعها، فإن كانت الفريضة أربعاً كفت القراءة في ثلاث وهكذا الا الصبح فإنها تجب فيهما معاً، وإليه ذهب مالك.

سادسها ـ وجوب القراءة في كل الركعات وإليه ذهب الشافعي، ـ الفخر الرازي ج ١ و ٢ صفحة ٢١٦(*).

(*) الشيخ خليل ياسين: «أضواء على متشابهات القرآن» ـ دار ومكتبة الهلال في بيروت سنة ١٩٨٠.